

## بين العقاد والرافعي

للأستاذ سيد قطب

— ٤ —

الآن تحدث الأستاذ شاكر — حديثاً ما — في الموضوع الذي نحن بصدده ، وإن كان حديثاً « رافعيًا » على الطريقة التي بينت مانيها من استغراق وقصور ، ولكنه على أية حال شيء غير اللز والتعريض — وإن لم يخل منها — فالآن يستطيع الانسان أن يلتقي باله إلى هذا الذي قيل ولما كانت لي بقية من حديث عن الرافعي ، فأجمل نقاشي مع الأستاذ شاكر ، بقية لهذه البقية في كلمة أخرى

وعدت أن أعرض من أساليب الرافعي نماذج غير ما عرضت تأخذ في نهج آخر ، ولكنها تصل إلى الهدف الأول ، من إثبات طبيعته كما عرفت ، بالنماذج والأمثلة

وأنا ماض في طريقي هذا ، لا يحوطني عنه ما يبدو من بعض أصدقاء الرافعي من تمريض أو إنارة ؛ ولن يستفزني ما يكتبون فأحيد عن نهجي الهادي

وطريقي في هذا الموقف أن الرافعي قدم مات ، وله نوع من الأدب ، فسأناقش أدبه هذا ، وما يدل عليه من نفسه وذهنه نقاش الناقد الطمئن لما يقول

وله أصدقاء أحياء ، فسأناقشهم حسبما يكونون هم : نقاداً أو متهمين . ولن أخلط بينه وبينهم في الحساب ، فلا ذنب للرجل فيهم ، ولا تبعه عليه بمد موته فيما يصنعون ! تلك طريقي . وهي ترضيني ... !

\*\*\*

قلت : إن الرافعي أديب الدهن ، ولكنه الدهن المتوى الماظر للداحل . واليوم أقول هذا ، وأزيد عليه : أنه « الدهن الشكلي » الذي تلهيه الأشكال والسطوح عن الكنه والأعماق ، والذي لا يلمح فرقا بين صورة وصورة ، مادام ظاهرهما متشابهاً . فإن أراد أن يطبق أمراً على أمر ، أخذ في قياس الزوايا والخطوط ولم يلق باله لحظة إلى ما في طبيعة كلا الأمرين من خلاف أو زيادة ونقص في بواطن الأجزاء . وإليك البيان :

« فهو لم يزد على أن أورد البيت ، ثم استملى دون استيعاب ما يعبر عنه من روح الفنان الملى ، الموكل بالجمال حيناً وجد ، وكيفما كان ، الهازي بحرف التقليد ، وقبور العرف ، ولم يجد ما يقوله إلا « بلا عرف » وهو قول لا تعلق لنا عليه »

ثم يعود فيقول : إن هذا يمثل هروب الرافعي « من مواجهة النقد الصحيح إلى المراوغة وكسب الموقف — في رأيه — بنكتة أو نهك أو شتيمة »

وأما لا أعجب لكلام الأستاذ سيد قطب ، لأنه على طريقتيه في حل المنظوم ، وإن أعجب فمعجبي لصاحب « وحى الأربعين » كيف ارتضى أن يثبت البيت في قصيدته ، وفي عقب هذه القطعة بالذات ، وينتقل من الوصف والتأمل وإمتاع النظر ، وإمداد الفكر بأسباب من الجمال ، أو كما يقول الأستاذ قطب من الطرافة والدعابة والخيال والحيوية ؛ إلى صيحة الاستنكار والتفزع بقوله : « فلا ملام ولا كلام » ثم الغضب الذي لا يتورع في قوله : « ولا خرف » . إن هذا الانتقال ليس من منطق الفن ولا من نهجه وسبيله وما أظن الرافعي أراد أن يتقد البيت — لأنه ليس بسبيل مما يحسن أن يُنقد ، وإنما وضعه هكذا للمقاد وهو يريد ما قلناه في كلمتنا الأولى مما جرته المداوة التي اضطرت بينهما

\*\*\*

وبعد فقد قرأت كلمة الأستاذ الجليل المهذب سيد قطب في البريد الأدبي من العدد السالف من الرسالة ، وقد أعلن فيها بعض رأيه فيما نكتب ، وحكم بحكمه على ما قلناه ، وحاول أن يتهم ، ووعظ وذكر . ونحن ندعه لما به عسى أن يرى يوماً غير هذا الرأي ، وله الشكر أحسن أو أساء

محمود محمد شاكر

البديل

قصة جديدة

للأستاذ محمود تيمور

نشرها الرواية في عدد أول يونيو

دعك من كل هذا ، وتمال انظر كيف يتصور الرجل العوالم  
الروحية ، أو العوالم الذهنية ... إنه يتصور لها جهات . ولا بد  
أن تكون هذه الجهات أربعاً كالوسومة في علم الجغرافيا بالجهات  
الأصلية ، وإنه متى أحيط الانسان بثلاث منها قلن تبقى له إلا  
واحدة وهي الجهة الرابعة !

ولا يتأني له أن للحياة - ولا سيما في فترة الحب - ألف  
جهة وألف منفذ ، وأنها تؤتي من هذه الجهات والنافذ ، ومن  
مسارب أخرى ومنعرجات وكُوى ومداخل لا عداد لها . لأن  
الذي يتأني له ذلك لا بد له من « نفس » ، ومن « حس » .  
أو لا بد له على الأقل من « ذهن » مشرق مرهف ، لا تحمده  
الأشكال الصماء

على أن هناك خطأ نكشفه من باب الدعابة ، « قالدائرة »  
ليست لها أربع جهات كما تصور الراقى ، حتى إذا أحيط الانسان  
من ثلاث لم تبقى إلا الرابعة ، إنما يكون ذلك في « الأشكال »  
الأخرى ، كالربيع والمستطيل !

وبسبب من هذا يأخذ قوله عن الناس :

« والبسهم على تفصيلهم قصاراً أو طوالاً ، كما خرجوا من  
شقي المقص : المجتمعين من الليل والنهار تحت مسار الشمس »  
أرأيت إلى « استيفاء الأشكال » في التشبيهات ؟ الليل  
والنهار كالمقص ، في تفصيل الناس قصاراً وطوالاً ... لا بأس !  
ولكنه تذكر أن للمقص المستعمل « الآن » مساراً في وسطه  
فلا بد إذن من « مسار » في المشبه ! وهذا المسار هو الشمس .  
وبذلك يتم « الشكل » بالدقة بين عمل المقص ، وعمل الليل  
والنهار ، وبين تركيبه ، وتركيبهما مع الشمس كذلك !

وان يحظر على بال الراقى أن الليل والنهار تحت الشمس من  
الظواهر الأزلية المميقة ، وأن بناءها هكذا عمل سرمدى دائم  
من بدء الخليقة إلى نهايتها . أما بناء المقص فهو شكلي وقتي ؛  
ليس بلازم أن يكون هكذا أبداً ؛ كما أنه ليس بلازم أن يكون  
« التفصيل » بأداة واحدة هي المقص وهي على هذا الشكل ؛ وما بين  
يوم وليلة تغير الأدوات والآلات ، فما تكون الشمس إذ ذاك ؟  
لا . لاشيء من ذلك يحظر على الذهن ، ما دام الشكل  
مستوفى بكامل أجزائه وأوضاعه . وتلك هي العناية بتصوير الحقيقة

« القمر » كوكب لا يشرق إثرافه إلا في الليل والظلام ،  
و « الحبيبة » تعود الناس أن يشبهوها بالقمر  
و « هي » لا تشرق إثرافها إلا في إبان « الحب »  
فاذا شاء الأديب أن يعقد من هذه الأطراف تشبيهاً ، وجد  
قرأ يشرق إذاجن « الظلام » ، ووجد حبيبة تشرق إذا « توهج  
الحب » فكان لا بد له من التصرف في التشبيه

ولكن الراقى لا يتصرف ؛ فساد القمر يجلوه الظلام ،  
فالجب إذن « ظلام » لأنه يجلو حبيته ، وسينساها متى انقطع  
عهد الحب وتحتق من أفته ، كما أن القمر يخفى إذا طلع الصباح .  
وهكذا يقول :

يا من على الحب بنسانا ونذكره لسوف نذكرنا يوماً وننساكا  
إن « الظلام » الذي يجلوك يا « قر »

له « صباح » متى ندركه « أخفاكا »  
فأما البيت الأول فأخوذ عن العقاد الذي لا يعجب الراقى  
شعره ، وأما الثاني فهو الذي يمتينا . وفيه ترى « الذهن الشكلي »  
الذي يستسيخ أن يجمل فترة الحب « ظلاماً » كالليل ، وفترة  
انقطاعه « نوراً » كالصباح ، لاشيء إلا لأن القمر المشبه به  
يشرق في الليل ويخبو بالنهار

والحب الذي هو ظلام ، لا يحتاج للتعليل ، فما يوجد حب  
في الدنيا تظلم به الأرواح ولكن الراقى هكذا يقول ... !  
وليست هذه خطرة عابرة تلمس لها الأعذار فان لها أشباهها  
في هذه « الخاصة »

يقول الراقى عن « حبيته » بعد عدة جعل مملوءة بقياس  
الأبعاد والجهات والزوايا :

« فكأنها في كل ذلك دائرة مرسومة من الفكر ، لا يهدبك  
البحث إلى موضع طرفها وهي محيطة بروحك من ثلاث جهات ،  
فلم يبق لك إلا الجهة التي تتصل بروحك منها بيد الله »

فدعك من مدلول هذا الكلام وقيمته من « إنسان يجب »  
أو « يصف الحب » ؛ ودعك من أنه كلام ذهني لا ينبض بحياة ،  
ولا يدل على خليجة في الشعور ، أو نبضة في الضمير ، ولا يتمدى  
أن « متكلاً » يصور في « الذهن » أشكالاً تقع أو لا تقع ،  
ولكنها يمكن عقلاً أن توجد ، كفروض المناطقة

« ولكن هناك موتاً لا ينقل من الدنيا إلى الآخرة ، بل من نصف الدنيا إلى نصفها الآخر ... وهو في أسرار الانسانية عكس ذلك ( الموت ) لأنه أظهر ما خفي وهو الحب »

فما معنى أن الحب « موت عكس الموت ؟ » وأنه لا ينقل من الدنيا إلى الآخرة ولكن من نصف الدنيا إلى نصفها الآخر؟ ألب بالإنفاظ أم « شقيلة » في الأشكال؟ وعلى أية حال فإن الحب في كل صورته وأشكاله ، من الموت في كل صورته وأشكاله ، حتى يسوغ لإنسان أن يجد وجهاً للشبه بين هذا وذاك ؟

إن الحب من سميم الحياة بكل ذراته وآثاره ؛ ولن يكون موتاً أبداً ، لا في الخارج ولا في الضمير . وأنت سفسطة في التخرج لا تفسر اقتران الحب بالموت في « ذهن » من الأذهان ؛ ويقول :

« وما من أحد في الأرض يستقيم طبعه على الجمع بين هم الحب وهم الحياة ، فإن قام بواحد زاعج من الآخر لا يبالي به ، إذ هما حقيقتان متدافعتان ، كتياري الكهرباء ، لو أمكن شيء من الاستحيل ، لما أمكن أن يطردا في سلك واحد ، اطرادهما في السلكين »

هذه قولة الراجحي وهي دليل لا ينقض على أنه لم « يحس » الحب في حياته ، ودليل كذلك على أنه لا « يفهم » إحساس الحب في سواه ، ولا يحسن تلميل ظواهره وتفسير دوافعه ، ككل ذي ذهن مشرق مستقيم

هو يرى أن الذي يجب يستخف بهموم الحياة ، حتى يخيل إليه أنه نسيها . فيفهم من ذلك أن هم الحب قد طردهم العيش ، لأنها متناقضات متدافعتان . وذلك في « الظاهر » وفي « الشكل » صحيح

ولكن الحقيقة الباطنة أن الحب يضاعف القوى الباطنة ، ويفسح في الحياة ، ويمتد جوانبها ، فتخف تبعاً لذلك على النفس هموم الحياة ، حتى يخيل لصاحبها ذاته أنه ينساها

فليس عن تضاديين الهميين ولا تدافع ينشأ هذا الشعور ، ولكن عن فسحة في النفس ، وقوة في الحس ، لا تضيق ولا تتبرم بهموم الحياة ، لأن النفس أصبحت أكبر وأرحب منها ، فلا تحس بها . وكل شيء نسبي بين القوة والمقاومة

وهذا هو التلميل « الانساني » والتلميل « النفساني » الذي لا يدركه أدباء الدهن الكليل . ومن هذا النحو قوله :

الوقتية المارضة دون التفات إلى الحقيقة الأزلية الدائمة . وهذا ما أشرت إليه في أول مقال

ويبدو لي أن الراجحي كان شديد الأثر في تلاميذه من ناحية « الأشكال » ؛ فهذا هو ذا الأستاذ سعيد المريان يكتب عنه في كتابه الأخيرة بالرسالة فيقول :

« فكان يرسل عينه وراء كل منظر ، ويعد أذنه وراء كل حديث ، ويرسل فكره وراء كل حادثة ، ويلقي باله إلى كل محاورة » فهو قد أراد بهذا أن يستوفي جميع أشكال التنبيه والاستيعاب دون أن يلاحظ الصدق والواقع وما يمكن تحققه من هذه الأشكال بالنسبة لمن يتحدث عنه . ذلك أن المرحوم مصطفى صادق الراجحي لم يكن « يعد أذنه وراء كل حديث » كما يعرف من يمر به ؛ ولم تكن هذه الحاسة من أدواته في التنبيه والتأمل ، فكان من « الصدق » ألا تذكر دون أن يضيره هذا أو يعيبه ، إذ كان هذا مما لا يمايب . غير أن حب استيعاب جميع الأشكال والفروض هو الذي يدفع الأستاذ سميحاً إلى هذا التفصيل

وليس ذلك بقليل الدلالة على هذه الظاهرة في مدرسة الراجحي ؛ وما قصدت بآثارها أن ألمز الرجل كما قد يفهم بعض ذوى الطباع المنحرفة ، فأحلاقي — على الأقل — لا تسمح لي بالذم ، ولكنني أردت إثبات الظاهرة في أحد تلاميذه ، بقلته عارضة غير ملتفت إليها ، وهي عميقة الدلالة على اتجاه المدرسة كلها

\*\*\*

وقد أسلفت أنني تلقيت نبأ « حب الراجحي » بكثير من الدهشة لأن « الحب » يتطلب « قلباً » وهو ما كنت أفتقده فيه والآن أقول : إنني بعد أن لخصت عن هذا « القلب » في « رسائل الأحزان » لم أجد له ظلاً ؛ ثم وجدت هناك رجلاً لا « يفهم » عن الحب شيئاً ، ولا يدرك أثره في « النفس الحية » ولو من باب الدراسة والملاحظة وإليك البرهان :

ليس أدل على الجهل بطبيعة الحب من تصويره ظلاماً كما هو وهو النور الشرق الذي يفتح النفس والدهن والعين على عوالم لا عداد لها ولا شيطان . فإذا جاز أن تقول من باب الدعاية : إن التشبيه هناك كان أعز على الراجحي من الحب ، وإن « الصنعة حكمت » كما يقولون فكيف تقول في تشبيه الحب بمد ذلك بالموت حين يقول :

أى لو أن هذه المرأة كانت متمكنة من دراسة اللغة العربية  
للكان الأثر الذى تخلفه فى نفس كل كاتب وكاتبة بلا استثناء إلا  
القصة التى لا تساغ ولا تنفس

هكذا لا تسمح طبيعة الحقد الأسيلى أن تتصور أن إجابة  
الأديب تهيب له مجيبين بأدبه ، أجباء اليه ، كلا ، بل لا بد من  
القصة فى صدورهم . وأية غصة ؟ هى التى لا تساغ ولا تنفس ...  
وهكذا كان الراقى مع العقاد !

إن فلتات اللسان ، تظهر كوا من الانسان ؛ وهذه فلتة  
كشفت عن الراقى فى أعماقه ، وأرتنا أهم عناصر حقه ، ولكنها  
ليست الوحيدة فاسمه يقول :

« نصيحتى لكل من أبيض من حب ، ألا يحتفل بأن  
ساجته « غاظته » وأن يكبر نفسه عن أن يفيض امرأة . إنه متى  
أرخى هذين الطرفين سقطت هى بعيداً عن قلبه ، فانها معلقة إلى  
قلبه فى هذين الخيطين من نفسه »

أرأيت ؟ ... إن الحبيبة بعد انقطاع الحب ، لا تتعلق بنفس  
من كان يحبها إلا بخيطين اثنين : غيظها له ، وغيظه لها ! ولا شيء  
وراء ذلك !

أما أن تكون معلقة بالذكريات المختلفة الألوان ، وبالساعات  
والدقائق والثواني التى ضمتهما فى عمرهم ، وبالأمال المحطمة فى  
قلوبها ، وبالغصبة الدامية فى جبهما ، وبالصور المتعاقبة من إقبالها  
وإدبارها ... ومن . ومن . مما لا يستطيع حصره بعد أن تهدأ  
فورة الحب فى النفس ، ويأخذ الحب فى الاستمادة والتذكر  
والاحصاء والتسجيل — أما كل ذلك فلا وجوده عند الراقى .  
وإنما يوجد خيطان اثنان من نسيج واحد ، هو نسيج الغيظ  
والغل والحقد ، والتبليس فى الشعور !

\*\*\*

وبعد فقد طال الحديث ، ووراء هذه الأمثلة التى ضربتها ،  
أمثلة أخرى من نوعها ، وفى كل صفحة من الكتاب أمثال غيرها  
فلا داعى للتكرار

على أن هناك حديثاً عن « ذوق الراقى » فى التعبير وذوقه  
فى النقد وموعده به كلمة أخرى

سير قطب

( حلوان )

« فان فى كل عاشق معنى مجهولاً ، لا يحده علم ، ولا تصفه  
معرفة ، وهو كالصباح المنطقى . ينتظر من يضيئه ليضيء . فلا  
ينقصه إلا من فيه قدحة النور ، أو شرارة النار . وفى كل امرأة  
جميلة واحدة من هذين »

فمكنا يتصور الراقى أن المحب عند تهيبه للحب ، يكون  
كالصباح المنطقى الخامد الهامد ، وقدحة النور أو شرارة النار ، إنما  
تأق له من « الخارج » وليست كامنة فى « ضميره » . وهذا  
التصور يتمشى مع خواء الراقى وسطحيته

أما الحقيقة الروحية التى يفهما ذوق « النفوس » فهى أن  
الحب فيض فى النفس ، وامتلاء فى الشعور ، يحس منه الانسان  
أنه بحاجة إلى صلة إنسان آخر ، لكي يفيض على هذا الانسان  
من القدر الفائض فى نفسه ويمطيه مما يزخر به شعوره ؛ فالصباح  
حين التهيؤ للحب لا يكون منطلقاً خامداً هامداً بل يكون موقداً  
مشرقاً يبحث عن يفيض عليه من نوره ، ويبدل له من اشراقه  
ووميضه . وحقيقة أن « الجميلة » التى بصادفها إذ ذاك تزيد فى  
اشراقه وتوهجه ، ولكن كما يزيد الزيت فى لألاء الصباح الموقد ،  
لا كما تمنع الشملة فى الصباح المنطقى .

وهذا هو الحب فى الحياة ، أما الحب فى « الدهن » وحده  
فقد يكون ذاك !

\*\*\*

والراقى فى زحمة الحب ، وفى فيضه وانبساطه ، لا ينسى عالم  
الحقد الضيق ، ولا رقعة الفيظ المحدودة ، فتلس فى كلماته ونبراته  
صوت تضريس الأسنان من الحلق ، وتزرى الأعضاء من الضغن ،  
وذلك شأن غريب

نم غريب ، فقد كان مفهوم ما أن يبلغ به الضغن والحقد على  
العقاد أن يحجم عن شراء « وحى الأربمين » كما حكى تلميذه  
الريان ، ولكن الذى لا يفهم أن تلازمه طبيعة الحقد وهو  
فى معرض الحب . والحقد تبس فى الشعور

ومن أراد أن يعرف أهم أسباب الحقد فى نظر الراقى ، وأظهر  
دوافعه ، فليعلم أنه فوقان إنسان على إنسان فى التناج الأدبى !  
ولم هذا سبب ما بينه وبين العقاد ! فهو يقول عن « حبيته »  
« ولو أن الله مكتمها من لغة كتابه الكريم ، لفص منها فى هذا  
الشرق العربى كل كاتب وكاتبة غصة لا تساغ ولا تنفس »